



الحج والعمرة مناسك وأسرار

تأليف

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م



الهيئة المصرية العامة للكتاب





الحج والعمرة

مناسك وأسرار

تأليف

د. محمد مختار جمعة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد بهي الدين

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٣.

ص.ب ٢٣٥ ومسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس : ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه
الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[البقرة: ١٩٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم
أنبيائه ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه
ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فالحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام لمن
استطاع إليه سبيلاً، يقول الحق ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 97]، ويقول نبينا ﷺ:
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجِّ الْبَيْتِ،
وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١)، ويقول ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ،

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى
خَمْسٍ»، حديث رقم: ٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ
الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، حديث رقم: ٢١، واللفظ له.

وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١)، ويقول ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، إِنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ رَدَّهُ رَدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرِ وَغَنِيمَةٍ»^(٢)، ويقول ﷺ: «الْحَجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَفَدَّ اللَّهُ ﷻ، يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ مَا دَعَوْا، وَيُخْلِفُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقُوا الدَّرْهَمَ أَلْفَ أَلْفٍ»^(٣)، ويقول ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحُجُّ الْمُبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٤).

وهو استجابة المؤمنين لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ حين أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، يقول ﷺ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٢٧].

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٥٠.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٨ / ١٢٧، حديث رقم: ٧٥٧٩.
(٣) شعب الإيمان للبيهقي، الخامس والعشرون من شعب الإيمان "المناسك"، باب فضل الحج والعمرة، حديث رقم: ٣٨١٠.

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم: ١٧٧٣، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٤٩.

وهو رحلة إيمانية تهفو إليها نفوس المسلمين جميعاً،
آملين عفو ربهم ومغفرة ذنوبهم، وأن يعودوا - كما بشرهم
نبينا ﷺ - بُرَاءً من الخطايا كما ولدتهم أمهاتهم.

وقد حاولت من واقع التجربة أن أسجل خواطري
حول الحج وما عشته أو عايشته من أسرار بعض مناسكه،
مع خلاصة ميسرة لأعمال الحج والعمرة، سائلاً الله العلي
العظيم الرضا والقبول والسداد والتوفيق.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

خلاصة ميسرة لأعمال الحج والعمرة

أولاً: أعمال العمرة :

- أعمال العمرة تبدأ بالنية كسائر الأعمال الصالحة، حيث يقول نبينا ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجِرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١)، وفي رواية: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجِرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَاجِرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٢).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ما جاء إنَّ الأعمالَ بالنيةِ والجسبةِ، وِلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، حديث رقم: ٥٤، واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ١٩٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب في تَرْكِ الْحَيْلِ، وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فِي الْأَيَّامِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ٦٩٥٣.

ويراد بالنية هنا القصد المخصوص لأداء مناسك العمرة، ومن السنة أن يغتسل وهو أفضل، فإن لم يتيسر له الغسل توضأً، ثم يلبس ملابس الإحرام - الإزار والرداء - وهذا خاصٌّ بالرجل، أما المرأة فتلبس ملابسها المعتادة، ثم يحرم من الميقات، ويجوز أن يحرم قبل الميقات كأن يحرم من بيته أو من المطار أو نحو ذلك، ويحظر أن يتعدى الإنسان الميقات أو يتخطاه وهو غير محرم، ويستحب أن يصلي المحرم ركعتين سنة الإحرام، فإذا أحرم أهل بالتلبية.

- فإذا وصل إلى مكة ورأى البيت الحرام استقبله داعياً بقوله: «اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابةً، وزد من حجه أو اعتمره تكريمًا وتشريفًا وتعظيمًا وبرًا»^(١)، أو بما تيسر له من الدعاء.

- ثم يشرع في الطواف سبعة أشواط، يبدأ من الحجر الأسعد المشار إليه حاليًا بالإضاءة الخضراء في صحن المطاف، بحيث تكون الكعبة المشرفة على يساره. ويُسنُّ استلام الحجر الأسعد وتقبيله للمستطيع من

(١) السنن الكبرى للبيهقي، جامع أبواب دخول مكة، باب القول عند رؤية البيت، حديث رقم: ٩٢١٣.

غير إيذاء أحد، فإن لم يستطع أشار إليه، والحكمة تقتضي الاكتفاء بالإشارة إليه في أوقات الزحام الشديد؛ رحمة بالضعفاء وكبار السن، ومنعاً لما قد يترتب على المزاحمة من أذى الآخرين.

- فإذا ما انتهى المعتمر من الطواف صلى ركعتين سنة الطواف خلف مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام في الجهة الواقعة ما بين حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام والحجر الأسود، أو فيما تيسر له من المسجد الحرام، ويستحب أن يشرب من ماء زمزم الموجود في سائر جنبات المسجد والمسعى، كما يستحب له الوقوف للدعاء عند الملتزم - ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة -.

- ثم يأتي المسعى فيبدأ بالصفاء مستقبلاً الكعبة داعياً، علماً بأن السعي من الصفا إلى المروة شوط والعودة من المروة إلى الصفا شوط آخر، فتكون البداية بالصفاء والنهاية بالمروة، ويستحب الرَّمْل، أي: الإسراع بين الميلين المحدد فوقهما بالضوء الأخضر، ويصح السعي في أي دور من أدوار المسعى، فإذا ما انتهى من السعي قام بالحلوق أو التقصير، وبهذا تنتهي أعمال العمرة.

وعليه: فأعمال العمرة هي: الإحرام من الميقات، والطواف في أي دور من أدوار الطواف، والسعي في أي دور من أدوار السعي، والحلق أو التقصير، مع ما يصاحب ذلك من السنن والمستحبات.

ثانيًا: أعمال الحج:

وتتلخص أعمال الحج فيما يأتي:

- تبدأ أعمال الحج بالنية، وهي: الإحرام، وهو القصد المخصوص لأداء النُسك، والنية في الحج تتوجه إلى تحديد النوع الذي يختاره الحاج من أنواع الإحرام، حيث يتنوع الإحرام إلى ثلاثة أنواع: الأفراد: وهو أن ينوي الحج وحده، والتمتع: وهو أن ينوي العمرة متمتعًا بها إلى الحج، والقران: وهو أن يجمع بين أعمال الحج والعمرة في إحرام واحد، بحيث لا يتحلل من إحرامه إلا بعد تمام أعمال العمرة والحج معًا، وعليه بعد ذلك إن أحرَم متمتعًا أو قارنًا أن يذبح هديًا، وهو سُبُع بدنة أو سُبُع بقرة، أو شاة، فإن لم يستطع فعله أن يصوم ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر، وسبعة عندما يعود إلى بلده.

- ثم بعد النية يرتدي ملابس الإحرام (الإزار والرداء)، ومن السنة أن يغتسل أو يتوضأ قبل لبسها، ويستحب أن يصلي بعد لبس الإحرام ركعتين هما سنة الإحرام، ثم يحدد مقصده عند الميقات الذي يمر به، وإذا كان ممن سينزلون بجدة؛ فإنه يجوز أن يحرم منها إذا لم يكن قد أحرم قبلها، وبعد الإحرام تبدأ التلبية، ويستمر الحاج فيها قدر ما يستطيع حتى صباح يوم النحر عند رمي جمرة العقبة.

- وإذا وصل إلى مكة ووقع نظره على البيت الحرام فليستقبله بالتكبير والتلبية والدعاء ويدعو بالدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ، وهو قوله: «اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا...» كما مرَّ في أعمال العمرة.

- ثم يبدأ الحاج بأول أعمال النُسك الذي نواه، فإن نوى حجًّا مفردًا طاف طواف القدوم، ثم يستمر على إحرامه إلى أن ينتهي من أعمال يوم النحر، ويطوف بالبيت طواف الركن ثم يتحلل من إحرامه.

- وإن نوى تمتعًا أدى أفعال العمرة، وهي الطواف والسعي والحلق أو التقصير، ثم يتحلل من إحرامه ويحل له كل

شيء حتى يحرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة
(يوم التروية)، ثم يمضي إلى منى.

- وله أن يبيت بها إذا كان قادراً بدون مشقة، فإن بات بها لا يخرج إلا بعد شروق شمس اليوم التاسع، وله أن يتوجه مباشرة إلى عرفات ابتداءً من ليلة الثامن من ذي الحجة، ويستمر واقفاً على عرفات يصلي ويدعو ربه مخلصاً في الدعاء والعبادة، حتى موعد النفرة بعد مغرب يوم عرفة، ثم يكمل بقية أعمال الحج في مزدلفة ومنى ومكة إلى أن ينتهي من رمي الجمار وتنتهي أيام التشريق.

- وإن نوى قرناً طاف طواف القدوم، فإن سعى بعده بين الصفا والمروة يكون سعيه للحج والعمرة معاً، ويجزئه هذا السعي عن السعي بعد طواف الركن، وإن لم يقدم السعي أذاه بعد طواف الإفاضة، ولا يلزمه شيء، ثم يستكمل أعمال الحج دون أن يخلع إحرامه، ويفعل ما يفعله الحاج المفرد والمتمتع ابتداءً من يوم التروية، حيث يتجه جميع الحجاج مع اختلاف إحرامهم إلى منى في طريقهم إلى عرفات.

- ثم يتجه الحجاج بعد نفرة عرفة إلى مزدلفة، وعندما يصل إليها الحجاج يحطون رحالهم، ويصلون المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، وللحاج أن يبيت بها حتى تشرق شمس يوم النحر إذا قدر على ذلك دون مشقة ولم يكن من ذوي الأعدار، ثم يتحرك من مزدلفة بعد منتصف الليل (بحساب ساعات الوقت ما بين المغرب والفجر).

ومن منتصف ليل المزدلفة تبدأ أعمال يوم النحر لمن لم يقدر على المبيت بها، مع الترخيص في تقديم بعضها على بعض وفقًا لما يتيسر للحاج وقدرته على أداء النسك في الزحام أو عدمه.

- فالحاج يوم النحر سيرمي جمرة العقبة الكبرى، وبعد ذلك يذبح الهدي، فإن كان قد دفع صك الهدي فلا ذبح عليه؛ لأن وكيله يذبح عنه، ثم يخلق شعره، ويجوز له أن يقصر، ثم يطوف طواف الإفاضة، وهو طواف الركن.

- فيحصل التحلل الأصغر-الذي يباح به كل شيء للمحرم إلا الجماع- بأداء ثلاثة أمور من الأمور التالية

(رمي الجمرة الكبرى، وطواف الركن، وذبح الهدي، والحلق أو التقصير)، والحلق أفضل، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: وَلِلْمُقَصِّرِينَ»^(١).

- ويجوز عند المالكية أن يتحلل التحلل الأصغر بمجرد رمي جمرة العقبة الكبرى^(٢)، ولا يتم التحلل الأكبر إلا بالإتيان بالأمر الثلاثة (رمي جمرة العقبة الكبرى، وطواف الركن، والحلق أو التقصير) مع صك الهدي.

- وفي أيام التشريق عليه أن يبقى في منى، فإن لم يتيسر له ذلك فله أن يقيم في أي مكان يتيسر له قريباً منها، وله أن يوكل غيره في الرمي إذا عجز عن أدائه بنفسه، ومن قدر على المبيت بمنى من غير عنت أو مشقة فعليه أن يبيت بها، كما أن عليه أن يؤدي مناسك يوم النحر بنفسه، مع التزام الرفق وعدم مزاحمة الحجيج.


(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحَلْقِ وَالتَّقْصِيرِ عِنْدَ الإِحْلَالِ، حديث رقم: ١٧٢٨، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب تَفْضِيلِ الحَلْقِ عَلَى التَّقْصِيرِ وَجَوَازِ التَّقْصِيرِ، حديث رقم: ٣٢٠٨، واللفظ له.

(٢) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، ٢/ ١٣٤، دار الحديث، القاهرة.

- وإذا أراد الحاج أن يغادر مكة فيستحب له أن يطوف طواف الوداع إن استطاع، فإن كان البيت مزدحمًا بالطائفين بما يفقده القدرة على القيام به لا يتعين عليه؛ لأنه غير مستطیع، ويجوز له تحسبًا لذلك أن ينويه مع طواف الإفاضة أو الركن، ويجزئه ذلك من غير إثم.

- وإذا شك الحاج في شيء مما يفعله من أعمال الحج، فإن طرأ عليه الشك بعد انتهاء القيام به فليطرح الشك، وتكون ذمته بريئة أمام ربه، وإن طرأ عليه الشك أثناء أداء النُسك يبني على الأقل؛ لأنه المتيقن في حقه، وذلك في الطواف والسعي ورمي الجمرات.

- وفي أيام التشريق يبقى الحاج في منى يومين لمن أراد أن يتعجل، وثلاثة لمن أراد أن يتم، حيث يقول الحق ﷺ: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠٣]، ويكون للحاج بعد ذلك أن يبقى بمكة حتى يسافر إلى بلده، ولا يضره التأخير بعد طواف الوداع



ما دام لم ينو الإقامة في مكة المكرمة، وله أن يسافر إلى
المدينة؛ لزيارة مسجد النبي والتشرف بالسلام على
سيدنا رسول الله ﷺ.

ما يفسد الحج ولا يجبر تركه أو فعله بدم

ونؤكد أن هناك ما لا يجبر تركه أو فعله بدم ولا بغيره في الحج، بحيث لو ترك الحاج منه ما يجب فعله، أو فعل منه ما يجب تركه لفسد حجه، ومن ذلك :

- فوات الوقوف بعرفة في وقته المشروع إجماعاً؛ لقول نبينا ﷺ: «الحجُّ عَرَفَةٌ»^(١).

- ترك طواف الركن «الإفاضة»، فالإجماع أن من ترك طواف الركن لم يتم حجه، مع تفصيل بين المذاهب فيما يجب عليه فعله إذا تركه.

- ترك السعي بين الصفا والمروة عند المالكية والشافعية والحنابلة، خلافاً للإمام أبي حنيفة الذي يرى أن السعي من الواجبات التي تجبر بالدم، وهو ما يمكن الأخذ به

(١) سنن الترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمعٍ فقد أدرك الحج، حديث رقم: ٨٨٩.

للمضطرب، كمن فاجأه مرض أو أَلَمَّ به عارض بعد
أدائه طواف الركن يحول بينه وبين السعي.

- الجماع قبل الوقوف بعرفة، فإنه يفسد الحج إجماعاً، أما
الجماع بعد الوقوف بعرفة وقبل التحلل الأصغر فإنه
يفسد الحج عند الجمهور: (المالكية - الشافعية -
الحنابلة)، ولا يفسده عند الحنفية وعليه بدنة.

مواسم الخيرات والبركات

التفاضل بين الخلق سنة من سنن الحق سبحانه وتعالى، فقد فضل الله ﷻ بعض النبيين على بعض، حيث يقول ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٥]، ويقول ﷺ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٣]، وفضل بعض الشهور على بعض، حيث يقول ﷺ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ٣٦]، والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

وقد فضل ﷺ بعض الليالي على بعض فقال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر، الآيات ١-٣]، وقال ﷺ:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [سورة الدخان، الآية ٣].

كما فضل بعض الأيام على بعض، ومن الأيام التي فضلها سبحانه على سائر الأيام العشر الأول من ذي الحجة، حيث يقول ﷺ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ ١﴾ وَلَيْلِ عَشْرِ ۝ [سورة الفجر، الآيتان ١، ٢]، قال ابن كثير: «وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ»^(١).

ويقول ﷺ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٢٨]، يقول ابن عباس: هي أيام العشر^(٢).

ويقول نبينا ﷺ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُحَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»^(٣)، وعن ابن عمر ﷺ أن نبينا ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ

(١) تفسير ابن كثير، ٨ / ٣٨١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥ / ٣٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، حديث رقم: ٩٦٩.

مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ
التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ»^(١)، وفيها يوم النحر، يقول
نبينا ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمَ الْقَرِّ»^(٢).

وسئل سفيان بن عيينة رضي الله عنه يوماً، ما كان أكثر دعاء
النبي ﷺ بعرفة؟ فقال: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد
لله، والله أكبر؛ فقليل له: هذا ثناء وليس بدعاء، فقال: أما
علمت أن الله ﷻ يقول: «إِذَا شَغَلَ عَبْدِي ثَنَاءُهِ
عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطِيَ السَّائِلِينَ»^(٣)، وَعَنْ
أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ
الرَّبُّ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ
أَفْضَلَ مَا أَعْطِيَ السَّائِلِينَ، وَفَضَّلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ
كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»^(٤)، وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ،
عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ:

(١) مسند أحمد، ٩/ ٣٢٣، حديث رقم: ٥٤٤٦.

(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب في الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ، حديث رقم: ١٧٦٥،
والمрад بيوم القرهنا: اليوم الذي يلي يوم النحر.

(٣) شأن الدعاء للخطابي، ١/ ٢٠٧، والاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ٤

/ ٤٠٢، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.

(٤) سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ، باب منه،
حديث رقم: ٢٩٢٦.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ،
بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١)، ويقول ﷺ: «خَيْرُ
الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

وذلك للحاج وغيره، وكذلك ذبح الهدي والأضاحي،
يقول الحق ﷻ: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِجَتْ جُنُوبُهَا
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الحج، الآية ٣٦]، ويقول نبينا ﷺ: «مَا
عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ
الدَّمِّ، إِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَأَنَّ
الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطَبِّبُوا بِهَا
نَفْسًا»^(٣).

(١) مسند أحمد، ١١ / ٥٤٨، حديث رقم: ٦٩٦١، وشأن الدعاء للخطابي، ١ / ٢٠٧.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، باب منه، حديث
رقم: ٣٥٨٥.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الأضحية، باب ما جاء في فضل الأضحية، حديث رقم: ١٤٩٣.

وعن عائشة رضي الله عنها: «أَتَمُّهُمُ ذَبْحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»^(١).

وفي هذه الأيام المباركات يستحب الإكثار من الصلاة والقيام والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم وسائر أنواع البر والطاعات، وأبر البر في هذه الأيام صلة الرحم، حيث يقول الحق صلى الله عليه وسلم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١]، ويقول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّه»^(٢).

كما يستحب في هذه الأيام المباركات الإكثار من الصدقة على الفقراء، والحرص على سنة الأضحية توسعة عليهم، حيث يحثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على ألا نحوج أحداً من الفقراء

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الخوض، باب منه، حديث رقم: ٢٤٧٠.

(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم: ١٩٠٧.

والمساكين إلى السؤال في أيام العيد، فيقول ﷺ: «أَعْتَوْهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ»^(١).

كما خص الحق ﷺ يوم عرفة الذي هو من هذه العشر بمزيد من التفضيل، حيث يقول نبينا ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٢).

وفي قول الحق ﷺ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [سورة البروج، الآية ٣]، يقول أبو هريرة رضى الله عنه: «إِنْ نَبِيْنَا ﷺ قَالَ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ»^(٣).

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٣]، جاء رجل من اليهود إلى سيدنا عمر بن

(١) سنن الدارقطني، كتاب زكاة الفطر، حديث رقم: ٢١٣٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحجِّ والمعتمرِ ويومِ عرفة، حديث رقم: ١٣٤٨.

(٣) سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة البروج، حديث رقم: ٣٣٣٩.

الخطاب ﷺ فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٣] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»^(١).

وفي فضل صيام يوم عرفة لغير الحاج يقول نبينا ﷺ:
 «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ
 وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٢).

فهذه أيام فضل وبرٍّ وبركةٍ، فالعاقل من اغتنمها
 وتعرض لنفحات الله فيها.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتُقْضَائِهِ، حديث رقم: ٤٥، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب التفسير، باب: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]، حديث رقم: ٣٠١٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ، حديث رقم: ١١٦٢.

ماذا قبل الحج ؟

الحج رحلة إيمانية عظيمة، تتوق إليها نفوس المؤمنين الموحدين، والعلماء العاملين، والمحيين الذاكرين، وسائر المسلمين، فهو أمنية كل مسلم، ومتاب كل عاصٍ، وملاذ كل مستغيث، فيه منافع للناس، فهو دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ حيث دعا ربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٧]، وعلى حد قول الشاعر^(١):

(١) نُسِبَت هذه الأبيات إلى كَثِيرٍ عِزَّة، كما فعل أبو الفتح العباسي (المتوفى، ٩٦٣هـ) في كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص ١٣٤، وهو الأشهر، ونسبت أيضًا إلى ابن الطثرية، كما فعل القاضي الجرجاني في الوساطة ص ٣٤-٣٥، ونسبت إلى المضرب عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، كما فعل الشريف المرتضى علي بن الحسين في أماليه (غرر الفوائد ودرر القلائد)، ص ٤٥٧-٤٥٨.

فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ

وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَسَّحٌ

وَشُدَّتْ عَلَى حُدُبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا

وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

هنالك تُسكب العبرات، وتُغفر الزلات، ولا ملاذ ولا
ملجأ إلا إلى رب الأرض والسموات، من ذاق عرف، ومن
نهل اغترف، ومن وصل فاز، يقول نبينا ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ، إِنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ،
وَإِنْ رَدَّهٗ رَدَّهٗ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ»^(١)، ويقول ﷺ:
«الْحُجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَفَدَى اللَّهُ ﷻ، يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَيَسْتَجِيبُ
هُمْ مَا دَعَوْا، وَيُخْلِِفُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقُوا الدَّرْهَمَ أَلْفَ أَلْفٍ»^(٢).

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٢٧/٨، حديث رقم: ٧٥٧٩.

(٢) تُسبَعُ الْإِيمَانَ لِلْبَيْهَقِيِّ، الخامس والعشرون من تُسبَعِ الْإِيمَانَ «المناسك»، فضل الحج

والعمرة، حديث رقم: ٣٨١٠.

هنا فقط يُقبَل الحجر، ويُتمسَّح بالأركان، ويكون
السعي والطواف، ويُساق الهدى، وإلى هناك تُشدُّ الرحال،
ويعظم القصد، على حد قول الشاعر^(١) :

إليك وإلا لا تشد الرحال

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

هنالك تعظم الذكريات، حيث المسعى والمطاف،
وهاجر وزمزمها، وإسماعيل وحجره، والخليل ومقامه،
والحبيب وروضته، وبيته وقبره، والصدِّيق صاحبه، والبقيع
وأهله وعترته، والمدينة وأنصارها، ومكة وجوارها، والحرم
وحائمه، ومعالم عديدة لها في القلب موضعها، وفي
التاريخ مكانها، من عرفة إلى منى فالمزدلفة، فقباء والقبلتين،
وبدر وأحد، والغارين: ثور وحراء، وطريق الهجرة، ومساجد
ومآثر، لها في قلوب الخلق كل الخلق مكانة ومنازل.

فإذا كان الأمر كذلك، والحال على ما ذكر، فينبغي التخلية
قبل التحلية، فبدأ الحاج بتصحيح النية، وسداد الدِّين، ورد

(١) هذا البيت للشَّيخ/ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدَّميرِيّ الدِّيريني، ولد سنة ٦١٢هـ،
وتوفي سنة ٦٩٤هـ، انظر: طبقات الشافعية لتقي الدين السبكي المتوفى ٧٧١هـ، ٨/ ١٩١-
٢٠٨، ط هجر للطباعة والنشر.

المظالم، وتطهير النفس والمال، وصلة ما كان من الرحم مقطوعاً، وصلاح من كان له مخاصماً، والاعتذار إلى من كان في حقه مخطئاً، ثم ليفرغ إلى طاعته وعبادته، وينأى بها عن كل ما يفسدها أو ينال منها، أو يعكر صفوها عليه أو على غيره من الحجاج، فيعترم اعتزال اللغو والرفث والفسوق والجدال والعصيان، وإن كان يريد تمام المغفرة والقبول فليضع نصب عينيه قول الحبيب ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِحَجِّ اللَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

ولعل أهم ما ينبغي أن يفعله الحاج قبل سفره ما يأتي:
 أولاً: التوبة النصوح، التي تعني المراجعة الشاملة للنفس، ولما كان منها في حق الله ﷻ وفي حق الناس، فما كان من خير حمد الإنسان عليه ربه، وما كان غير ذلك تاب العبد منه توبة نصوحاً، بكل ما تعنيه الكلمة من صدق العزيمة ورد المظالم إلى أهلها، فإن هذه التوبة وحدها حتى ولو لم تكن مصحوبة بحج ولا غيره يُبدل الله ﷻ بها سيئات

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٥٠.

عنده حسنات، حيث يقول الحق ﷺ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝۷۰﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ [سورة الفرقان، الآيتان ٧٠، ٧١].

ثانياً: أن يتحرى النفقة الحلال؛ لأن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً، فقد ذكر النبي ﷺ «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(١)، وقال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرِزِ، فَنَادَى: لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادَكَ حَلَالًا، وَرَاحِلَتِكَ حَلَالًا، وَحَجَّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْحَيْثِيَّةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرِزِ، فَنَادَى: لَيْتَكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَا لَيْتَكَ وَلَا سَعْدَيْكَ، زَادَكَ حَرَامًا وَنَفَقَتَكَ حَرَامًا، وَحَجَّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ»^(٢)، وقال ﷺ: «يَا كَعْبُ بْنُ

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكُثْبِ الطَّيِّبِ وَتَرَبُّبِهَا، حديث رقم: ١٠١٥.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/٢٥١، حديث رقم: ٥٢٢٨.

عُجْرَةٌ إِنَّهُ لَا يَرْبُو حَمْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(١)، ويقول ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ثالثًا: على الحاج أن يحاول الإلمام بالمناسك وأحكام الحج وأدابه قبل سفره ليحرص عليها، ويتحلّى بها، ويؤدي حجه على الوجه الأكمل الذي يرجى معه تمام القبول والغفران.

رابعًا: البعد عن اللغو والرفث والفسوق وأذى الخلق، فإذا كان الكف عن أذى الناس مطلوبًا في كل وقت وحين وزمان ومكان فإنه يكون أشد تأكيدًا في الحج، والأذى يكون أشد حرمة إذا ما حدث في حرم الله ﷻ أو في جواره، حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٢٥]، فليحرص الحاج على الإيثار والإكرام، والصبر والاحتمال، والبعد عن كل ألوان الأذى ولو بالكلمة أو النظرة الغاضبة.

ومتى استوفى الحج ذلك: من تصحيح النية والنفقة الحلال، والوفاء بالأركان، والبعد عن اللغو والرفث

(١) سنن الترمذي، أبواب السفر، باب مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٦١٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤١]، حديث رقم: ٣١١٨.

والفسوق وأذى الخلق، فذلكم الحج المبرور الذي
يقول فيه نبينا ﷺ: «... والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلاَّ
الجنةُ»^(١).



(١) متفق عليه: صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم: ١٧٧٣، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٤٩.

الحج مدرسة أخلاقية

لا شك أن جميع العبادات تحمل في مضامينها قيماً ومعاني أخلاقية كثيرة سامية؛ ذلك لأن الإسلام قد ربط جميع العبادات بمكارم الأخلاق، فما من عبادة شرعها الإسلام من صلاة، أو صيام، أو زكاة، أو حج، إلا ولها أثر يظهر على سلوك الفرد في سموه الأخلاقي إذا أدى العبادة على الوجه المراد، بل إن هذا الأثر يتعدى الفرد إلى المجتمع، وينعكس أثره عليه، فإن الإسلام ليس طقوساً جوفاء لا علاقة لها بالواقع، فيخرج المصلي من صلاته ليغش ويحتكر، ويؤذي جاره، أو يكذب أو يخون أو يخلف العهد أو الوعد.

فأهل العلم على أن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، حيث يقول الحق ﷺ: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّالِحَاتِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تَصْنَعُونَ ﴿[سورة العنكبوت، الآية ٤٥]، فالابتعاد عن
 الفحشاء والمنكر، والتطهر من سوء القول والعمل هو
 الثمرة الحقيقية الناضجة لأثر الصلاة، فعن ابن عباس رضي الله عنه
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:
 إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ
 عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبْتَ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ مَهَارَهُ فِي
 ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمُسْكِينِ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَالْأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ
 الْمُصَابَ»^(١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يقول: «مَنْ لَمْ
 تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا
 بُعْدًا»^(٢).

وكذلك الزكاة، والصيام، والحج، وسائر العبادات،
 شرعت كلها لتزكية النفس، والارتقاء بها إلى مكارم
 الأخلاق، فالزكاة طهرة لنفس الغني من البخل والشح
 والأنانية، ولنفس الفقير من الحقد والبغض والكرامية،
 حيث يقول الحق ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
 وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) مسند البزار، ١١ / ١٢٩، حديث رقم: ٤٨٥٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٩ / ١٠٣، حديث رقم: ٨٥٤٣.

عَلَيْهِ ﴿ [سورة التوبة، الآية ١٠٣]، ومن أجل ذلك وَسَّعَ النبي ﷺ في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصِيرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاقُكَ مِنْ دُلُوكَ فِي دَلْوِ أَحِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١).

ولا يقتصر الإنفاق في الإسلام على إنفاق المال، بل يتجاوزه إلى العلم الذي يُعَلِّمُهُ الإنسان للناس، أو المساعدة البدنية للضعيف والمسنن، أو الإنفاق من الوقت في خدمة الإنسانية؛ لذا قال ﷺ: «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» ﴿ [سورة آل عمران، الآية ٩٢]، ولم يقل سبحانه وما تنفقوا من مال.

كذلك يعمل الصيام على تهذيب الأخلاق والسلوك، حيث يقول ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ،

(١) سنن الترمذي، أبواب البرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم: ١٩٥٦.

فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقَلِّ: إِنَّي أَمْرٌ صَائِمٌ»^(١)، فالصوم عبادة من العبادات التي فرضها الله على عباده من أجل تحقيق التقوى، فالثمرة والغاية التي يريدها ربنا سبحانه من الصيام هي تقوى الله ﷻ، قال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٣]، فمن خلال الصيام تتقوى إرادة المسلم، ويتعود على ضبط أخلاقه وغرائزه، فالصوم ينبغي أن يعصم صاحبه عن الأخلاق السيئة وعن الرذائل، ولا بد أن يترك أثراً في سلوك المسلم وتهذيب أخلاقه.

وأما عن الحج الذي نحن بصدد الحديث عنه فلا يكون مبروراً يعود الحاج منه كيوم ولدته أمه، إلا إذا اجتنب صاحبه الرفث والفسوق والجدال، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

(١) متفقٌ عَلَيْهِ: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شئتم، حديث رقم: ١٩٠٤، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، حديث رقم:

فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
 وَتَكَرَّرُوا فَإِنَّكَ حَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى^١ وَأَنْفُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾
 [سورة البقرة، الآية ١٩٧]، يقول نبينا ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ
 يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ
 يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢).

فعلى الحاج أن يتحلى بمكارم الأخلاق من الإيثار لا
 الأثرة، والاستغناء والتعفف لا السؤال والابتذال، وأن
 يوسع على نفسه وعلى أهله وعلى الفقراء والمحتاجين، لا أن
 يكون بخيلاً شحيحاً، وأن يتجنب الغيبة والنميمة والرفث
 والفسوق والعصيان والجدل، وكل ما من شأنه أن ينال من
 حجه، وليحرص على اغتنام هذه الفرصة التي قد لا تواتيه
 مرة أخرى، وقد لا يعوضها إن ضيعها، يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ
 لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ ذَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ
 أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، حديث رقم: ١٣٥٠.

(٣) المعجم الأوسط، ٣/ ١٨٠، حديث رقم: ٢٨٥٦.



فليتحلَّ الحاج بمكارم الأخلاق قبل الحج، وأثناء
الحج، وبعد الحج، وليدرك أن قبول حجه مرهون بمدى
تخليه عن مساوئ الأخلاق وتخليه بمكارمها.

الصبر على مشاق الحج

الحج عبادة بدنية ومالية يضحي فيها الإنسان بجهدته وماله، وتحتاج إلى جهد وصبر، وعِظْمُ الأجر على قدر عِظْمِ العمل وتحمل مشاقه، يقول ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَاوِرِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١)، وربما كانت التضحية بالمال هي الأيسر عند بعض الناس، في حين أن التضحية بالجهد هي الأيسر عند آخرين، غير أن هذا الفارق إنما يكون قبل الشروع في النُّسك، أما عند الشروع في النُّسك فشيء آخر، ليس فيه غني وفقير، وقوي وضعيف، إنما هي عزيمة وإرادة وتصميم وفقه وفهم ووعي، فسلعة الله غالية، وسلعة الله هي الجنة، والحق ﷻ يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٢]، ويقول ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب منه، حديث رقم: ٢٨٢٢.

وَالصَّرَّاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٤].

ويقول ﷺ: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [سورة العنكبوت، الآيتان ٢،
٣]، والأجر على قدر المشقة، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه
سُئِلَ: «أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: أَحْمَرُهَا، يَعْنِي: أَمْتِنَهَا
وَأَقْوَاهَا»^(١).

وإذا كان الحاج الراجي رحمة الله ﷻ يأمل فضله في
تكفير السيئات وغفران الذنوب، وأن يعود من حجه كما
ولدته أمه، فعليه ألا يجهل، ولا يصخب، ولا يرفث، ولا
يفسق، ولا يضجر من الطاعة، ولا يؤذي حاجًا ولا ينفر
صيدًا، وأن يكون سلمًا للإنسان والحيوان والطيور والحجر
والشجر، فالحج مدرسة أخلاقية وتربوية، ومن دروسه
التربوية: درس بناء العزيمة والقدرة على التحمل، ألم
يصف أهل العلم أصحاب رسول الله ﷺ بقولهم: كانوا
رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار؟ ولم يقل الحق سبحانه وتعالى

(١) غريب الحديث لابن سلام، ٤/ ٢٣٣، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ.

لنسينا ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الزَّمْلُ ۝١ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نَصْفَهُ ۝ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿[سورة الزمل، الآيات ١ - ٥]، فقيام الليل هو دُرْبَةٌ عَلَى الصَّبْرِ وَتَحْمَلُ الْمَشَاقَّ، وَالْحُجَّ أَيْضًا دُرْبَةٌ عَلَى بِنَاءِ الْعَزِيمَةِ الْقَوِيَّةِ الصَّلْبَةِ.

على أن كل هذه المشاق لا تقارن بحال من يضحون بأنفسهم رخيصة في سبيل الله ﷻ استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى وَعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيُبْعِثُكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة، الآية ١١١].

ولله درُّ عبد الله بن المبارك، حيث يقول في حال أهل الثغور^(١):

يا عابدِ الحَرَمينِ لو أبصرتنا

لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

(١) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٨/ ٤١٢، ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

من كان يخضبُ خذَه بدموعه

فَنُحورُنَا بدمَانِنَا تَنخَضِبُ

فتحية لدماء الشهداء، وتحية لكل الأبطال الذين يحمون
ثغور بلادهم، ويبدلون أنفسهم رخيصة في سبيل
الدفاع عن دينهم وأوطانهم، ولله درُّ القائل^(١):
يَوْمَ الشَّهِيدِ تحيةٌ وسلامٌ

بك والنضالِ تُوَرِّخُ الأعوام

فليحتسب كل حاج جهده وصبره عند ربه، ولا يضيع
الجائزة الكبرى بالشكوى والضيق والضعف أو النفور من
العبادة، فالحج اختبار لقوة الإيمان قبل قوة الأبدان.

فمن قوي إيمانه بالله تعالى هانت في سبيله الدنيا وما
فيها، وتحول تعبهُ ومشقته إلى رضا حيث تذوب متاعب
الجسد في أشواق الروح، فتتحول كل عوامل المشقة إلى
إضاءات صفاء روحي ونفسي، لا تُقوي عزيمة صاحبها
خلال رحلة الحج المباركة وأداء مناسكه فحسب، بل ربما
ترسم طريقاً جديداً لحياته الإيمانية كلها.

(١) من قصيدة بعنوان (يوم الشهيد)، من ديوان الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، ص

مع تأكيدنا أن أي متاعب أو مشاق في الحج تكون لحظية
آنية سرعان ما تتحول إلى طاقات إيجابية وشحنات إيمانية
بمجرد انقضاء المشقة الطارئة، ويبقى أجر المحتسين عند
الله ﷻ لا يزول.

التيسير في الحج

الإسلام كله قائم على التيسير ورفع الحرج، ومبني عليهما، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٧٨]، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(١)، ويقول سفيان الثوري ﷻ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرَّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ»^(٢).

والفقه عند أهل العلم هو التيسير بدليل، ولم يقل أحد من أهل العلم إن الفقه هو التشدد، يقول نبينا ﷺ: «عَلَيْكَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدِّين يُسْرٌ، حديث رقم: ٣٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١/ ٧٨٤، دار ابن الجوزي، المملكة العربية

السعودية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

بِالرَّفْقِ، إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْرَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١)، كما ثبت أنه ﷺ «مَا خَيْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»^(٢).

ونؤكد على أهمية التيسير على الناس وأخذهم بالأيسر في أداء مناسك الحج، فإذا كان ديننا الحنيف قائمًا على التيسير ورفع الحرج فإن هذا التيسير في الحج أولى وألزم، فما يسّر نبينا ﷺ في شيء أكثر من تيسيره على حجاج بيت الله ﷺ في قولته المشهورة: «افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»^(٣)، وإذا كان هذا التيسير مع ما كان عليه عدد الحجيج آنذاك؛ فما بالكم بموجبات التيسير في زماننا هذا؟

غير أن التيسير الذي نسعى إليه هو التيسير المنضبط بضوابط الشرع، المقرون بمدى القدرة والاستطاعة، إذ

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فَضْلِ الرَّفْقِ، حديث رقم: ٢٥٩٤.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٣٥٦٠، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مَبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْأَتَامِ وَالْخَيْتَارِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلُهُ وَإِنْقَامِهِ لِهَذَا عِنْدَ انْتِهَاكَ حُرْمَاتِهِ، حديث رقم: ٢٣٢٧.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم: ٨٣، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، أو نحر قبل الرمي، حديث رقم: ١٣٠٦.

ينبغي أن يحرص المستطيع على أداء العبادة على وجهها
الأكمل والأفضل الذي يحقق لصاحبه أعلى درجات الفضل
والثواب، وبما لا يصل إلى حد التهاون الذي يُفَرِّغ العبادة من
مضامينها التعبديّة الأصيلّة السامية، وبحيث لا تنحصر همّة
الإنسان في تتبع كل الرخص في كل الأركان والواجبات
وعلى كل المذاهب، وإنما يأخذ من الرخص ما يقتضيه
واجب الوقت وظروف أداء الشعيرة وموجبات التيسير.

وعندما يتحدث العلماء عن مسائل التيسير في الحج فإنما
يعرضونها؛ ليأخذ المحتاج منها بالقدر الذي يُذهب عنه
المشقة غير المحتملة، ويخفف عن أصحاب الأعذار المشقة
التي لا تُحتمل في ضوء ما يميزه الشرع الحنيف من أوجه
التيسير، وليحرص العلماء والمفتون على التيسير على الناس،
وليأخذ الناس أنفسهم بالرفق واليسر واللين، ولكن دون
إفراط أو تفريط.

ولا ينبغي أن يدعي أحد - في القضايا الخلافية
في الحج أو في غيره - أن رأيه هو الحق والصواب وما
سواه أو عداه هو الخطأ، بل هو اجتهاد؛ بغية الوصول
للحق مع مراعاة مقاصد الشرع الحنيف في التيسير ورفع

الحرج، من غير إنكار على المختلف في الرأي فيما يقبل الخلاف، فالقاعدة: أن المختلف فيه لا ينكر على فاعله، إنما ينكر على من يفعل المجمع على تركه أو يترك المجمع على وجوبه، والحج يقتضي البعد عن اللغو والجدل، فللعالم رأيه واجتهاده، وللآخرين من أهل الاجتهاد والنظر المعترف رأؤهم التي تقدر وتحترم، والله درُّ الشافعي رحمه الله، حيث يقول: رأبي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب^(١).

ويمكن أن نقول: إن كلا الرأيين قد يكونا على صواب غير أن أحدهما قد يكون راجحاً والآخر مرجوحاً، فالآراء الراجحة ليست معصومة، والآراء المرجوحة ليست مهدومة طالما أن لصاحبها حظاً من الاجتهاد والنظر والدليل الشرعي المعترف.

ونماذج التيسير في الحج أوسع من أن تحصى، فمنها: إعانة الضعفاء في الرمي تخفيفاً عنهم، ومنها: التوسع في وقت الرمي، ومدة البقاء بالمزدلفة، والتوسع في ترتيب أعمال يوم

(١) وثبت عن الشافعي قوله: «إذا خالف قولي قول الرسول فاضربوا بقولي عرض الحائط، وخذوا بقول رسول الله ﷺ»، ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، ١٠ / ٢٧٦، ط دار الحديث.



النحر، والجمع بين طوافي الإفاضة والوداع للضعفاء وغير
القادرين على القيام بكل منهما منفردًا.

هل تعلمت معنى التضحية والفداء من أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم ﷺ؟

يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ [سورة النحل، الآيتان ١٢٠، ١٢١]،
ويقول ﷻ: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿١٣١﴾ [سورة النجم،
الآية ٣٧]، فبعد أن شبَّ ولده إسماعيل ﷻ عن الطوق،
وبلغ معه السعي يأتيه الأمر بذبح هذا الغلام الحليم
العليم، فيستجيب إبراهيم وولده لأمر ربِّهما طائعين للأمر
في أنموذج من أعلى نماذج التضحية التي عرفتها البشرية،
حتى أصابهما اللطف الإلهي والعناية الإلهية، فكان الفداء
العظيم، وفي كل مرة كان الشيطان يتعرض له في طريقه،
فكان سيدنا إبراهيم ﷻ له بالمرصاد، رجماً في الأولى عند
العقبة الصغرى، ورجماً في الثانية عند العقبة الوسطى،

ورجماً في الثالثة عند العقبة الكبرى، فلم يكن للشيطان على إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ سبيل ولا سلطان، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٩٩]، فهل تعلمنا معنى التضحية من أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، بأن تضع نفسك وولدك ومالك في كفة ودين الله في كفة ثم تُرَجِّحَ كِفَةَ دِينِ اللَّهِ، وأنت على يقين بأنك في الكفة الراجحة، بلا تردد ولا مساومة، فالآخرة نُصَبَ عَيْنِكَ، ومرضاة الله بغيثك وأملك ومبتدك ومنتهاك؟

هل علمت أو جربت معنى أن تكون عبداً ربانياً، حركاتك وسكناتك لله ﷻ، وأدركت أن من ذاق عرف، ومن عرف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، فأعددت للآخرة عدتها، ولم تنس نصيبك من الدنيا، فَعَمَّرَتِ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ، ولم تحربها باسم الدين؛ لأن الأديان رحمة للعالمين، للبلاد والعباد، والحيوان والجماد، والحجر والشجر، وهذا هو دين رب العالمين، ومنهج سيد الخلق أجمعين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، من سار على هديه مُسَلِّماً تسليم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، لم يكن للشيطان عليه سلطان ولا إليه



سبيل، ويكون قادرًا على قهر شيطانه كما فعل الخليل
إبراهيم عليه السلام، وتلك إحدى حكم رمي الجمرات وأسرارها.

من وحي الرحلة

لا شك في أن أعظم رحلة في الكون يمر بها المسلم في حياته إنما هي رحلة الحج، ففيها من الفضائل والمنافع ما ذكره الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ﴾ [سورة الحج، الآيتان ٢٧، ٢٨].

وفي جوار بيت الله الحرام، واستحضارًا للوقوف أمام روضة رسول الله ﷺ، أخذت أتأمل ما صار إليه حال هذه الكثرة الكاثرة التي أربت على مليار ونصف المليار مسلم، واستحضرت صورة المسلمين في العالم، فوقفت أناجي ربي، وأحاطب رسول الله ﷺ قائلاً:

قم يا رسول الله قم فارح الزماما

قم يا رسول الله صرنا كاليثامى

قم يا رسول الله حُرّف ديننا

دين السماحة والمروعة والنشامى

قم يا رسول الله جننا تضرعًا

لله رب البيت أن يرعى الزماما

جننا رسول الله نشكو حالنا

حال التشدد والتسيب والجهالة

حال المصالح والمطامع والتف

مرق والتشتت والتطرف والخيانة

قم يا رسول الله أدرك أمة

يسعى لهدم بناتها أهل الضلالة

جننا وهذا العام غير الذي مضى

مخاطرُ أخرى للعدا لا تنفدِ

لكن خير الجند في مصر التي

شرفت بتزكية الحبيب محمدِ

قد وطنوا عند الشدائد أنفسا

وقفاتها عند النوائب تحمدي

يا أمة المختار هي هبة

تجلو الصدى وتصحح الأوضاعا

أوضاع من باعوا ببخس دينهم

طلبوا به الأموال والإمتاعا

يجرون خلف الشرق والغرب أهُنَّا

خدموا الأعداي والحياء قد ضاعا

كنا على الأيام أهلَ حضارةٍ

تهدي إلى الأخلاق والإحسان

ماذا أصاب القوم بعدك أحمد

من سوء أخلاق ومن نكران

نحتاج هبة ثورة فكرية

لنقّوم المعوج في البنيان

تباً لأيدي العابثين بديننا

ممن أرادوا الشرف في أوطاننا

تباً لهم خرّقوا السفين بجهلهم

فلنصلحن ما أفسدوا بدماننا

إن السماحة أصلها في ديننا

والعدل والإحسان في قرآننا

أقسمت بالبيت الذي طفت حوله

وظاف رجال أهل صدق وحكمة

لا نُسَلِمَ الإسلام في أوطاننا

أبدًا لأهل تشدد وتعنت

سنقاوم الفهم السقيم بحكمة

ودراية ورواية وبفطنة

وإنني لأدعو كلَّ مسلم غيور على دينه أن يراجع نفسه،
وأن يصحح نيته، وأن يقدِّم مصلحة الإسلام على أي
مصالح أخرى تضر بصورة هذا الدين أو تشوّهه، وأؤكد
أن على كل حاج خَلَعَ ملابسه الدنيوية وتجرّد لله ﷻ أن
يؤثّر مصلحة دين الله على كل المصالح والمطامع الحزبية أو
المذهبية أو الشخصية.

نحو روح إيمانية وثَّابة

لا شيء أكثر طمأنينةً للنفس، وتزكيةً لها، وارتقاءً بها، من لجوئها إلى الله ﷻ، واعتصامها به، واحتمائها بركنه الشديد.

ولا شيء أكثر ضبطاً لسلوكها من حسن مراقبتها له، وخوفها منه، وقد قالوا: من الصعب، بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن تخصص لكل إنسان شرطياً يحرسه، أو مراقباً يلازمه ويراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسانٍ ضميراً حياً ينبض بالحق، ويدفع إليه، راقبناه أم لم نراقبه؛ لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وهذا سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ يختبر أمانة أحد الرعاة، فيقول له: بعني شاةً، فيقول الراعي: كَيْسَ هَا

هَنَا رَبُّهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: أَكَلَهَا الذُّبُّ، فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْعَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْعَنَمَ؟^(١).

وفي قصة ابنة بائعة اللبن التي طلبت منها والدتها أن تخلط اللبن بالماء، فقالت لها: يا أماه! ألم تعلمي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهى عن خلط اللبن بالماء؟ فقالت لها: وأين عمر الآن؟ فقالت: إذا كان عمر قد نام أو غاب فكيف بالذي لا يغفل ولا ينام؟، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه ساعتها على الباب يتفقد أحوال رعيته، فرأى أنه لا أحد أكفأ لابن أمير المؤمنين من هذه الفتاة الأمانة التي تراقب الله في سرها قبل علنها، مهما كانت منزلتها الاجتماعية، حتى لو كانت مجرد بائعة لبن، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْئَكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣]، فذهب عمر رضي الله عنه إلى ابنه عاصم وعرض عليه الأمر، وزوجه إياها، وأنجبت لهما فتاة تزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنجبت له عمر

(١) شُعب الإيوان للبيهقي، التاسع والخمسون من شُعب الإيوان «حق السادة على المالك»، حديث رقم ٨٢٣٨، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٦٣/١٢، حديث رقم: ١٣٠٥٤.

بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين^(١)، ببركة هذه الأمانة وحسن المراقبة لله ﷻ.

ولا شك أن العبادات كلها تهدف إلى تقوية هذه المراقبة وتصحيح السلوك الإنساني، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٥]، وأهل العلم على أنه من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

والصوم سر بين العبد وخالقه، ومن أهم معانيه تحقيق التقوى والمراقبة لله ﷻ، فالصائم عندما يتوضأ لا يعلم أحداً إلا الله ﷻ بوصول الماء أو عدم وصوله إلى جوفه، ولا يحجزه عن الطعام والشراب إلا مراقبته لله، تلك المراقبة التي يريد الشارع الحكيم أن تكون أنموذجاً لسائر أنواع المراقبة، يقول الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٣].

(١) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساکر، ٣٥٣/٧٠، ط. دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، وأخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) وسيرته، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرئي، ص ٤٩، ط. مؤسسة الرسالة، سورية، ١٩٨٠م.

أما شعيرة الحج فتقوم على التضحية بالمال والجهد والبدن، مع حسن التوكل على الله ﷻ وإخلاص النية له، إذ يبدأ الإنسان عند خروجه من منزله بدعاء السفر: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والحليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»^(١)، فيلقي حموله وهمومه وأحواله كلها إلى أمر ربه ﷻ، مدرِّكاً أن الأمر كله لله، ولو صدقت نية الحاج فهو في معية الله وفي ولايته، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣١]، ومن تولاه الله كفاه وأغناه وأراح نفسه وقلبه، يقول ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية ٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية ٥] ويقول ﷻ: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢]، ويقول ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣٦].

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم:

ثم يتجرد الإنسان من الدنيا وعلاقتها من مال وعتاد، وولد وسلطان، محرماً بلباس متجردة هي أشبه ما يكون بتلك الأكفان التي يلقي بها ربه، وعلى العاقل أن يستحضر أن هذا اليوم آتٍ لا محالة، وكل طويل في حساب الزمن قصير، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، والعاقل من يبيع دنياه بآخرته، والأحمق من يبيع آخرته بشيء من متاع الدنيا الزائل، وفي هذا نذكر بقول القائل: يا ابن آدم، أنت في حاجة إلى نصيبك من الدنيا لكنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن أنت بدأت بنصيبك من الدنيا ضيعت نصيبك من الآخرة وكنت في نصيبك من الدنيا على خطر، وإن أنت بدأت بنصيبك من الآخرة مرن بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاماً فأصلح الله لك أمر الدنيا والآخرة.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ كَانَتْ
الْآخِرَةُ هِمَّةً جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا
وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هِمَّةً جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،
وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة

وعندما يتعلق الإنسان بأستار الكعبة يدرك بلا شك أنه يأوي إلى ركن شديد، ورب عظيم رحيم، حيث الأمل في رحمة الله ورضوانه، في كشف الكرب، وجلاء الظلم، وفتح أبواب الرحمة في الدنيا والآخرة، وذلك عند بيت الله المحرم، حيث أمر الله ﷺ نبيه وخليله إبراهيم ﷺ أن يؤذن في الناس بالحج فاستجاب، بلا تفكير ولا تردد، مع أن الأرض آنذاك كانت صحراء قاحلة لا إنس ولا أنيس، لكن إبراهيم ﷺ كان يدرك أن الخير في طاعة الله ﷻ، وأن ما عليه هو تنفيذ الأمر الإلهي، وأن الاستجابة أو عدم الاستجابة لندائه هي ليست من حوله ولا قوته، إنما هي من مشيئة الله وإرادته: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٦].

أذُنْ يَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى اللَّهِ الْبَلَاغُ، فَأَذَّنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَلَغَ نِداؤَهُ الْعَالَمِينَ، فَأَتَوْا مِنْ كُلِّ حُدُبٍ وَصُوبِ رِجَالٍ وَرِكْبَانًا، شَعَثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، يَحْدُوهُمْ الْأَمَلُ فِي الْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ.

=أَوَانِي الْحَوْضِ، بَابٌ مِنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٦٥، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ، كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ الْهَمِّ بِالدُّنْيَا، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٤١٠٥.

ثم يأتي السعي بعد الطواف ليدرك الإنسان ما كان من أم إسماعيل ﷺ في أخذها بالأسباب، وليت المسلمين جميعًا حُجَّاجًا وغير حجاج يستفيدون من هذه الدروس في الأخذ بالأسباب، ويدركون أن الله ﷻ لا يضع أجر من أحسن عملاً وأتقن صنعًا.

ويأتي السعي بين الصفا والمروة في إطار رمزية كبرى هي السعي والعمل لنصرة دين الله ﷻ من جهة، وإعمار الكون لصالح البلاد والعباد من جهة أخرى.

ويأتي تقديم الهدى ونحر الأضاحي لتخليص النفس من علائق الشح والبخل، في رمزية كبرى للتضحية في سبيل الله، وفي سبيل الوطن، وفي قضاء حوائج الناس من إطعام الجائع وكساء العاري وإغاثة الملهوف، وإسكان الشباب، وبناء المجتمعات بتوفيرها ما تحتاجه من مقومات لا بد منها في مجالات الصحة، والتعليم، والطاقة، وغير ذلك في إطار التكافل المجتمعي وفروض الكفايات.

أما الرجم فإشارة إلى العداوة المستحكمة بين الشيطان وبني الإنسان؛ ليدرك الإنسان في كل زمان ومكان أن

الشیطان عدو مبين، متربص بالإنسان، يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله إلا من رحم رب العالمين، وحفظه من غواية الغاوين، وهنا يحاول الشيطان أن يأتيك من أي طريق يستطيع به النفوذ إليك، يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: ما أمر الله ﷻ في الإسلام بأمر إلا حاول الشيطان أن يأتيك من إحدى جهتين، لا يبالي أيها أصاب، الإفراط أو التفريط، الغلو أو التقصير^(١)، فالعاقل الحكيم من يفوت على الشيطان الرجيم كلتا الفرصتين، فلا يميل أي الميل إلى اليمين أو اليسار، إنما يقف وفق منهج الإسلام السمع في منطقة الوسطية والاعتدال، قال وهب بن منبه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَرَفَيْنِ وَوَسَطًا فَإِذَا أَمْسَكَ بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ مَالَ الْآخَرِ وَإِذَا أَمْسَكَتْ بِالْوَسَطِ اعْتَدَلَ الطَّرْفَانِ، وَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَوْسَاطِ مِنَ الْأَشْيَاءِ»^(٢).

(١) المقاصد الحسنة لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت ٩٠٢هـ، ص ٣٣٢

بتصرف، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٢) مسند أبي يعلى، ١٠/٥٠١، حديث رقم: ٦١١٥.

من أسرار المناسك الحج ورحلة التشبه بالآخرة

الحج رحلة ذات طبيعة خاصة، ربما تُذكر الإنسان العاقل بحال الآخرة، بداية من دعاء السفر وترك المال والأهل والولد، في كنف الله ﷻ ورعايته.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿[سورة الزخرف، الآيتان ١٣، ١٤]، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسَوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَالِدِ، وَإِذَا رَجَعَ قَاهُنَّ زَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ تَأْيِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم: ١٣٤٢.

ثم في لباس الإحرام والتجرد من علائق الدنيا، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٩٤].


ثم يأتي هذا الجمع في صعيد عرفات في مشهد وصورة ربما لفتت نظر الإنسان إلى يوم المثلول بين يدي الواحد الأحد في يوم الحشر الأعظم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[سورة الشعراء، الآيتان ٨٨، ٨٩]، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ بِنُزُورٍ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) الْيَوْمَ نُحْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِلَّا اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة غافر، الآيات ١٦ - ١٩].

مفهوم التلبية وتامها

التلبية استجابة لنداء رب العالمين، ودعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، واتباع لسنة خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يردد الحاج: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»^(١)، أي: إجابة لك بعد إجابة، وفوق إجابة، وتسليم لك بعد تسليم، وإثر تسليم، فهي تسليم وخضوع وانقياد مطلق لوجه الكريم.

وتمام هذه التلبية أن تكون بالقلب والعقل، واللسان وسائر الجوارح، بحيث تمتلك من الإنسان نفسه وكيانه كله، فيصير عبداً ربانياً: في حركاته وسكناته، في خضوعه وانقياده، بكل ما تعنيه تلك الكلمات من معانٍ جامعة.

(١) في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَهْلُ مُلْبِداً يَقُولُ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»، متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التلبية، حديث رقم: ٥٩١٥، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقفتها، حديث رقم: ١١٨٤.



ومن تمام التلبية أيضًا ألا نقف بها عند مشاعر الحج
ومناسكه، إنما يكون ذلك بأن تتحول هذه التلبية إلى منهج
حياة، فيراك الله ﷻ حيث أمرك وحيث يجب أن يراك، ولا
يراك حيث نهاك وحيث لا يجب أن يراك، وبهذا نحقق معنى
التلبية.

رمي الجمرات بين المظهر والجوهر

لا شك أن رمي الجمرات نسك يرمز إلى رجم الشيطان، وللناس في ذلك مسالك، فمن وقف عند الشكل فقد أسقط أداء النُّسك عن نفسه أو من وكله عنه، وعلم أنه يرمز بنسكه هذا إلى رجم الشيطان الرحيم، أما من أراد الجوهر فإنه يتجاوز شكلية الرجم إلى دلالة الحقيقية، وهي مواجهة الشيطان ومقاومته، والعمل على التخلص من سلطانه وسطوته، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النحل، الآيتان ٩٩، ١٠٠] فيعقد العزم على سد ثغرات الضعف النفسية لديه، ليكون قوياً في مواجهة وسوسة الشيطان وتحدياته، حتى لو أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله، فلا يكذب، ولا يغش، ولا يغدر، ولا يخون،

ولا ينم، ولا يغتاب، ولا يحتكر، ولا يبلغ في الدماء ولا
الأموال ولا الأعراض، ولا يظلم، ولا يجهل، ولا يأكل
الحرام، ولا ينافق، ولا يؤذي أحدًا، وعلى الجملة يستحي
من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه وألا يراه حيث أمره، فيصير
عبدًا ربّانيًّا، حركاته وسكناته وسائر جوانب حياته لله ﷻ.

من فيض المشاعر^(١)

هنا في عرفات الله تسكب العبرات، وتتنزل الرحمات،
وتستجاب الدعوات، ويعفى عن السيئات، وتضاعف
الأجور والحسنات.

هنا موضع استجابة الدعوات وغفران السيئات، اللهم
لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من
شيء بعد، حمداً يليق بجلالك وكمالك وإنعامك وإفضالك.
اللهم زد هذه الأماكن المباركة تشریفاً وتعظيماً ومهابة،
ولا ترد أحداً من القاصدين إلا بحج مبرور وذنب مغفور
وعمل خالص متقبل مأجور.

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سبيلاً لمن اهتدى، وارزقنا
حسن الفهم لديننا، وصدق العمل له، والإخلاص
لوجهك الكريم.

(١) هذا الموضوع كُتِبَ في رحاب جبل عرفات.

اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق، والنفاق، وسوء
الأخلاق، ونسألك علمًا نافعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكراً،
ونسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك
من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل، وقد قلت في
عرفات:

إلى عرفات الله يمت وجهتي

وأملت في الرحمن غفران زلتي

وتأقت نفوس العاشقين لمشعر

عليه آمال الخلق ترنو لرحمة

يفيض بها الرحمن عطفًا عليهم

إفاضة إكرام عظيم ومنة

قاله در الواقفين ودرنا

إذا من رب العرش ثم بتوبة

لتمحو أثر الذنب من أعناقنا

وترقى بمشتاق لأبواب جنة

فيا رب فرج كربنا وهمونا

وتمم زيارتنا بأعتاب روضة

بروضة أحمد خير خلقك كلهم

وحقق مناي بالبقيع وبغيتي

إن الحج رحلة إيمانية، تهفو إليها نفوس المسلمين جميعاً، وهي أمل كل مسلم، سواء في مقتبل العمر أم في ختام رحلة الحياة، حيث يهب الناس رجالاً ونساءً، آحاداً وجماعاتٍ، من كل فج عميق إلى بيت الله الحرام، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٢٧].

وتلك فرصة في العمر قد لا تتكرر، فالعاقل من اغتنمها، ولم يضيعها، وعمل بكل طاقته على التعرض لنفحات الله فيها، فعن مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ ذَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(١).

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٩ / ٢٣٣، حديث رقم: ٥١٩.

ومن أهم مظاهر هذا التعرض: الخشوع والخضوع
لله ﷻ، وكثرة الذكر والثناء عليه، وعلى الحاج أن يلح في
طلب الرضا والقبول، والدعاء بحسن الخاتمة وتيسير
الوصول.

وعليه ألا يكف عن الدعاء لوطنه بالسلامة والأمن
والاستقرار، وللعصاة بالهداية والبعد عن مسالك ومصائد
الشیطان، وللقادة المصلحين بالسداد والتوفيق والوصول
بالأوطان إلى بر الأمان.

الهدى والأضحية ومقاصدهما السامية

الهدى فى الحج قد يكون واجبًا، وقد يكون مندوبًا، فهو واجب على القارن والمتمتع، وعلى من وجب عليه دم بفعل ما يستوجب فعله دمًا، أو ترك ما يستوجب تركه دمًا، وهو مندوب على المفرد الذى قصد الحج فقط دون العمرة، وإذا كان الله ﷻ قد شرع الهدى للحجيج فإنه قد وسع فى أمر الأضحية لهم ولغيرهم.

وللأضحية مقاصد سامية، فهى من جهة طهرة للمال وصاحبه، ومن جهة أخرى إطعام للفقراء، وتوسعة على الأهل والأصدقاء والجيران والأحباب.

وهى سنة مؤكدة عن سيدنا رسول الله ﷺ عند جمهور الفقهاء خلافاً للحنفية القائلين بوجودها على القادر المستطيع، فقد ضحى ﷺ بِكَبْشَيْنِ أقرنينِ أَمْلَحَيْنِ^(١)،

(١) متفق عليه: صحيح البخارى، كتاب الأضاحى، باب فى أضحية النبى (صلى الله عليه =

= وسلم) بكبشين أقرنين، حديث رقم: ٥٥٥٤، وصحيح مسلم، كتاب الأضاحى، باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل، حديث رقم: ١٩٦٦.

ولما سئل عن الأضاحي قال: «سَنَّهُ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).
 ويقول ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطَبِّبُوا بِهَا نَفْسًا»^(٢).

وأكثر الناس إنما يحفظون أو يفهمون أو يقفون عند قول نبينا ﷺ: «كُلُوا وَأَطْعُمُوا وَادَّخِرُوا»^(٣)، وينظرون بما يشبه التقديس إلى أقوال بعض الفقهاء بتقسيم الأضحية إلى ثلاثة أقسام: ثلث للفقراء، وثلث للإهداء، وثلث للإنسان وأهله، على أن هذا التقسيم هو عملية تقريبية للتصرف، وكان القصد منه ألا يجور المضحى على نصيب الفقراء، وأن يخصصهم على أقل تقدير بالثلث في أضحيته، فمن زاد زاده الله فضلاً.

ويغفل كثير من الناس عن أن نبينا ﷺ لما رأى بالناس فاقاة قال لهم: «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلَا يُصِحُّ بَعْدَ ثَالِثِهِ وَبَقِيَّ

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الضحايا، باب منه، حديث رقم: ١٩٠١٧.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الأضحية، باب ما جاء في فضل الأضحية، حديث رقم: ١٤٩٣.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، حديث رقم: ٥٥٦٩، وصحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي، حديث رقم: ١٩٤٧.

فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ»، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا الْعَامَ الْمَاضِي؟ قَالَ: «كُلُّوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا»^(١).

فحيث يكون الرخاء والسعة يكون العمل بقوله ﷺ: «كُلُّوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا»، وحيث يكون بالناس جهد وحاجة أو شدة وفاقه يكون العمل بقوله ﷺ «مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلَا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةِ وَبَقِيَّ فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ».

على أن الأجر على قدر التوسعة على الفقراء والمحتاجين، فعندما سأل نبينا ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها حين ذبحوا شاة، فقال لها: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟»، قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ ﷺ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا»^(٢)، فالذي يُعطي ويتصدق به هو الذي يُدَّخِر للإنسان ويجده باقياً يوم القيامة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [سورة النحل، الآية ٩٦].

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، حديث رقم: ٥٥٦٩، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان

ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي، حديث رقم: ١٩٤٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جساء في صفة أواني الخوض، باب منه، حديث رقم: ٢٤٧٠.

وقد حثنا نبينا ﷺ على التوسعة على الفقراء والمساكين في أيام العيد، فقال ﷺ: «أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ»^(١)، أي أعطوهم ووسعوا عليهم ولا تُحوجوا أحداً منهم إلى السؤال في هذا اليوم.

وينبغي أن يضع المعطي نفسه موضع الآخذ، ويقدر ماذا كان يتمنى لو كان مكان الآخذ ليفعل معه ؟، حيث يقول الحق ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٧]، وليتذكر الإنسان أن الأيام دول، وأن غني اليوم قد يكون فقير الغد، وفقير اليوم قد يكون غني الغد، وأن الله ﷻ قادر على تبديل الأحوال، حيث يقول ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٠].

وليدرك أن النعم تدوم بالشكر وتزول بالجحود والنكران، وكما تتحقق الأضحية بالذبح تتحقق بالصك، فلا شك أنه يعظم من نفع الأضحية، وبخاصة لمن لا يملك آلية

(١) سنن الدار قطني، كتاب زكاة الفطر، باب منه، حديث رقم: ٢١٣٣.

لتوزيعها على الوجه الأمثل، مما يجعلها تصل عبر منظومة الصكوك إلى مستحقيها الحقيقيين، وهو ما يزيد من نفع الأضحية وثوابها في آن واحد، كما أنه يحقق إيصال الخير إلى مستحقيه بعزة وكرامة وآلية لا تمتهن آدمية الإنسان أو تنال منها.

وما أجمل أن يجمع المستطيع الموسر بين ذبح الأضحية توسعةً على أهله وذويه، وشراء الصكوك توسعةً على عامة الفقراء في المناطق الأكثر احتياجًا.

الحج وقضية التسليم

الإسلام في مفهومه العام يعني الاستسلام والخضوع والانقياد المطلق لله ﷻ فالمسلم الحقيقي هو من أسلم وجهه وأمره كله لله رب العالمين.

وهنا نقطة التقاء كبيرة بين المفهوم العام للإسلام القائم على قضية التسليم المطلق لله ﷻ، وبين ما نتعلمه من الاتباع المطلق في أداء مناسك الحج، امثالاً لقول نبينا ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(١)، وحيث تبلغ قضية التسليم المطلق في حياة المسلم وعقيدته وقناعاته تبلغ أوجها وذروة سنامها في مناسك وشعائر الحج.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راکباً، وبيان قوله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»، حديث رقم: ١٢٩٧، وللنسائي في سننه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا»، كِتَابُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، بَابُ: الرَّكُوبِ إِلَى الْجِمَارِ وَاسْتِظْلَالِ الْمُحْرَمِ، حديث رقم: ٣٠٦٢.

فمذ أسلم الخليل إبراهيم ﷺ وجهه لله وتل ابنه للجبين:
﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الصافات،
الآيات ١٠٣ - ١٠٥]، وحين نادته السيدة هاجر ﷺ عندما
تركها وولدها إسماعيل ﷺ عند البيت الحرام بوادٍ غير ذي
زرع آنذاك، ونادته يا إبراهيم: الله الذي أمرك بهذا؟ فأجابها
بأنه أمر الله، فقالت وباطمئنان شديد: «إِذْنٌ لَا يُصَيِّعُنَا»^(١).

وتتوالى مناسك الحج: طوافاً، وسعيًا، ورميًا، ووقوفًا
بعرفة، ومبيتًا بمنى، والمزدلفة، ونحرًا، وحلقًا أو تقصيرًا،
مما قد تبرز بعض حكمه وأسراره، وتخفى بعض هذه الحكم
والأسرار على كثير من الخلق، لكن يبقى معنى التسليم
المطلق لله أمرًا محوريًا ومفصليًا في فهم حكم الحج وأسراره
ومراميه.

غير أن ذلكم الحاج الذي يدرك تلك المعاني ويعيشها
في الحج بروحه بحق وصدق ينبغي أن تكون هذه المعاني
الإيمانية حاکمة لحركة حياته كلها، فيعيش بكل كيانه فاهمًا

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْنَاكَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾
[النساء: ١٢٥]، حديث رقم: ٣٣٦٤.

أن الأمر كله لله تعالى، حيث يقول ﷺ: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢]، ويقول ﷺ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال، الآية ١٧، ١٨]، ويقول الحق ﷻ: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ إِنْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر، الآية ٣٨]، فيعيش من يستمسك بالإيمان بالله ويحسن تفويض الأمر له - في ذل وانكسار لله رب العالمين - عيشة راضية قوامها الرضا والتسليم والإيمان الراسخ الذي يمنح صاحبه القوة والصلابة في الحق وعميق الرضا بالقضاء والقدر، فينال جزاء الشاكرين في النعماء والسراء، وجزاء الصابرين في البأساء والضراء، وهذا هو حال المؤمن كما حدثنا عنه نبينا الكريم ﷺ.

الحج وترتيب الأولويات

عندما تضع المملكة العربية السعودية قواعد منظمة لحج النافلة «تكرار الحج»، واشتراط مدة بينية بين الحجة والأخرى فنحن معها، وعندما تضع بعض الدول قواعد تنظم حج النافلة لمواطنيها وفق ما تقتضيه ظروفها فهي أدري بأحوالها، ما دام الأمر متسعاً لمن يريد أداء الفريضة، مع تأكيدنا على الآتي:

أولاً: أن الحج فرض على المستطيع بدنياً ومالياً، وأن حج الفريضة ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام المستطيع للحج إلا به، وعلى القادر على حج الفريضة أن يعجل.

ثانياً: الحج شعيرة دينية يجب تنزيها كسائر العبادات عن التوظيف السياسي والمصالح الضيقة لبعض الدول أو الجماعات.

ثالثاً: أن تكرار الحج من الرغائب والنوافل، وقضاء حوائج الناس من فروض الكفريات، وفروض الكفريات مقدمة شرعاً على النوافل.

على أن فروض الكفريات تشمل إطعام الجائع، وكساء العاري، ومداواة المريض، كما تشمل القيام بالمصالح الأساسية للمجتمع التي لا تستقر حياة الناس إلا بها، والإسلام علمنا التراحم والتكافل، يقول نبينا ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ فَضِلْ ظَهْرَ فُلَيْعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»^(١).

ولا شك أن الوفاء بهذه الاحتياجات واجب كفائي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، والواجب الكفائي مقدم بلا شك على النوافل حتى يُقضى، ثم إنه مسئولية تضامنية بين أبناء المجتمع جميعاً من القادرين على سد الثغرات ورفع الكروب عن المكروبين.

ولا شك أن نفع قضاء الحوائج متسع ومتعدد، وقد يكون صدقة جارية في إصلاح طريق أو بناء جسر أو مشفى أو مدرسة، ونبينا ﷺ يقول: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،

(١) صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، حديث رقم: ١٧٢٨.

أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١)، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَآيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَتَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْصَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثَبَّتَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(٢)، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «.. وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)، فهذا كله نفع متعدد أوسع وأرحب من حج النافلة وعمرة النافلة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: ١٦٣١.

(٢) الحديث في المعجم الأوسط للطبراني، ١٣٩/٦، حديث رقم: ٦٠٢٦.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسْلِمُهُ، حديث رقم: ٢٤٤٢، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠.

ولا شك أن الفقير عندما يرى الغني يسرف في الحج والعمرة، ولا يمد يد العون للفقراء والمساكين، ولا يسهم في بناء مجتمعه، قد ينظر إليه نظرة حقد، ويلمس جانباً كبيراً من الأنانية حتى لو كانت في مجال الطاعة والعبادة، ويرى أن هذا الغني قد التفت إلى إشباع عواطفه، ولم ينظر إلى المقاصد الفقهية للتشريع نظرة متكاملة.

وقيل لبشر بن الحارث: «إِنَّ فُلَانًا الْغَنِيَّ كَثِيرُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، فَقَالَ: الْمُسْكِينُ تَرَكَ حَالَهُ وَدَخَلَ فِي حَالٍ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا حَالُ هَذَا إِطْعَامُ الطَّعَامِ لِلْجِيَاعِ وَالْإِنْفَاقُ عَلَى الْمَسَاكِينِ، فَهَذَا أَفْضَلُ لَهُ مِنْ مَجْوَعِهِ نَفْسَهُ، وَمِنْ صَلَاتِهِ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ جَمَعَهُ لِلدُّنْيَا وَمَنَعَهُ لِلْفُقَرَاءِ»^(١).

(١) إحياء علوم الدين، ٣ / ٤٠٩، دار المعرفة، بيروت.

رسالة سلام من المشاعر المقدسة

المسلم سَلِمٌ مع نفسه، سَلِمٌ مع أهله، سَلِمٌ مع وطنه،
سَلِمٌ مع الكون كله، مع الحجر والشجر، مع الحيوان
والجماد، سَلِمٌ مع الإنسانية جمعاء، لا يغش، ولا يغدر، ولا
يخون، ولا يكذب، ولا يستحل الدماء ولا الأعراض ولا
الأموال، وَقَفَّ عند حدود ربه، يجده ربه حيث أمره ولا
يراه حيث نهاه.

فالإسلام دين الرحمة والسلام، دين لا يعرف الأذى،
فالمسلم الحقيقي هو من سَلِمَ الناس من لسانه ويده،
والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم
وأَنْفُسِهِمْ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ
فُلَانَةً يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا
تُوْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةً يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا،

وَأَنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا
بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ^(١)، وهو القائل ﷺ: «وَاللَّهِ لَا
يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ»^(٢)، ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»^(٣).

دين يحفظ للإنسان كرامته، فينهى عن الغيبة، والنميمة،
والتحاسد، والتباغض، والاحتقار، وسوء الظن لهو دين عظيم.
دين يمنع الظلم والغش، ولو مع أعدائه، ويُحرِّم سائر
الممارسات الاحتكارية، ويعمل على تحقيق الرحمة للإنسان
والحيوان والجماد هو دين عظيم.

دين ينهى عن كل ألوان الفساد والإفساد، والتدمير
والتخريب، ويعصم الأموال والأعراض والأنفس هو دين
عظيم.

(١) مسند أحمد، ٤٢١/١٥، حديث رقم: ٩٦٧٥.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، حديث
رقم: ٦٠١٦، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار،
حديث رقم: ٤٦.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ
جَارَهُ، حديث رقم: ٦٠١٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار
والضيف، حديث رقم: ٤٧.

ونستطيع أن نقول: إن الإسلام قضية عادلة ودين عظيم، وإنه وإن تعرض للهجوم من أعدائه فإن المخلصين من أبنائه قادرون بإذن الله ﷻ على تجلية الغبار عنه، وعرضه عرضًا صحيحًا من خلال البلاغ الواضح المبين، الفاهم لفقه المقاصد، وفقه الواقع، وفقه المتاح، وفقه الأولويات، فهما يؤهل صاحبه للوفاء بواجب هذا الدين العظيم بما يحمله لصالح الإنسانية جمعاء من سبل السعادة والرفقي، وما يحمله لمن يعمل به من خير الدارين: الدنيا والآخرة.

وإننا - حقًا - قادرون على تقديم رؤية ونظرية متكاملة للسلم العالمي، تقوم على أسس إنسانية خالصة، تؤمن بحق الإنسان في حرية المعتقد وفي الحفاظ على دمه وعرضه وماله وفي الحياة الكريمة دون تمييز على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو العرق، فكل الدماء حرام، وكل الأعراض مصانة، وكل الأموال محفوظة، مع إيمان كامل بأن التنوع والاختلاف سنة من سنن الله الكونية الراسخة، فيجب أن نتعاون في ضوء المشترك الإنساني، وأن يحل الحوار والتواصل محل الصراع والتصادم.

ومن هنا من المشاعر المقدسة من عرفات الله نبعث رسالة للعالم كله بأن ديننا هو دين السلام، ورسالتنا هي

رسالة سلام، وهو دين رحمة للإنسانية جمعاء، وقد علمنا هذا الدين السامح أن المسلم الحقيقي هو من سلم الناس كل الناس من لسانه ويده، غير أنه لا يعني الانبطاح أو الاستسلام أو إعطاء الدنيا في ديننا، فله العزة ورسوله وللمؤمنين، وسيحق الله الحق بكلماته وينصر دينه ويعلي رايته بعز عزيز أو بذل ذليل، وما ذلك على الله عز وجل بعزيز.

ولكن علينا أن نحقق العبودية الكاملة لله عز وجل والإيمان الكامل المتضمن الأخذ بأقصى الأسباب، وساعتها نصر الأمة وعزتها ورفع شأنها كل ذلك متحقق لا محالة، حيث يقول الحق عز وجل : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم، الآية ٤٧]، فهو النصر الحق شريطة الإيمان الحق، فهمًا واعتقادًا وعملاً وأخذًا بالأسباب وتسليماً مطلقاً لله رب العالمين.

مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ^(١)، ويقول ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا يَبِأَبِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟» قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَدَلِكُ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»^(٢)، ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

غير أن ذلك كله إنما يؤتي ثمرته الحقيقية عندما يعيش الإنسان روح العبادة ويتفاعل معها ويدرك مقاصدها، فمن الحج نتعلم قوة الإرادة، وتحمل المشاق، ونتعلم معنى الخضوع والتسليم المطلق لله ﷻ، سواء من حيث أداء المناسك أم من حيث أخذ العظة والعبرة من قصة الفداء وامثال أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم ﷺ وولده سيدنا إسماعيل ﷺ لأمر الله ﷻ وتسليمهما المطلق له ﷻ:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي أَهْلِي وَمَنْ يَشَاءُ أَلَتْنَاهُ مِنْ دُونِي ﴿١٠٤﴾﴾

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى

رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، حديث رقم: ٢٣٣.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ كَفَّارَةٌ، حديث رقم: ٥٢٨، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب

المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، حديث رقم: ٦٦٧.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ النَّجْرِ، حديث رقم: ٥٧٤، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم: ٦٣٥.

صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّكَ ذَلِكِ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتُوا
 الْعَمِيْنُ ﴿سورة الصافات، الآيات ١٠٣ - ١٠٦﴾، حتى
 جاء الإذن من الله ﷻ بالفداء: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾
 [سورة الصافات، الآية ١٠٧].

ومن الصلاة : نتعلم حسن المراقبة لله ﷻ، وحسن
 اللجوء إليه، والاستعانة به، وحسن المثول بين يديه، فضلاً
 عما بها من حكم أخرى كالطهارة ظاهراً وباطناً، والانتهاز
 من الفحشاء والمنكر، حيث يقول الحق ﷻ في كتابه العزيز:
 ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة
 العنكبوت، الآية ٤٥].

على أن جميع العبادات إنما تؤتي ثمرتها وتحقق غايتها
 عندما تترجم إلى سلوك ملموس في حياة الإنسان ودنيا
 الناس، فلا يكذب، ولا يغش، ولا يخون، ولا يغدر، ولا
 يأكل سحتاً، ولا يؤذي أحداً، حيث سأل نبينا ﷺ أصحابه
 يوماً: «أتدرون ما المُفْلِسُ؟ إنَّ المُفْلِسَ من أُمَّتِي من يأتي يومَ
 القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذَفَ
 هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى

هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيّت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار^(١)، وقيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتصدق، وتؤدي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار»، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بأثوار، ولا تؤدي أحداً؟ فقال رسول الله: «هي من أهل الجنة»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١.

(٢) مسند أحمد، ١٥ / ٤٢١، حديث رقم: ٩٦٧٥.

ماذا بعد الحج ؟

العبادات مقصودة لذاتها ولحكم أخرى، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول ﷺ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٥]، ويقول ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الجمعة، الآيتان ٩، ١٠]، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

والعبادات إعداد وتأهيل لحمل الرسالة وعمارة الكون والحياة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ﴾ ١ ﴿قُلِ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ ﴿يَضَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِلًا﴾ ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ٥ ﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ٦ ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ [سورة

المزمل، الآيات ١ - ٧]، فإذا كان الإنسان في ليله في خلوة مع الخالق ﷻ فأمامه في النهار متسع طويل لعمارة الكون وصناعة الحضارة، فالإسلام هو فن صناعة الحياة لا صناعة الموت، ودورنا هو عمارة الدنيا بالدين لا تحريبها ولا تدميرها باسم الدين.

والحج مدرسة أخلاقية وتربوية عظيمة، ولعل من أهم الدروس التي نتعلمها والتي ينبغي أن تستمر معنا من مدرسة الحج: قضية التسليم المطلق لله ﷻ، وتفويض الأمر لله، والوقوف عند حدود الله، وتعظيم شعائره، وحرماته، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ اللَّهَ فَبِإِذْنِهِ يُرْزَقُ﴾ [سورة الحج، الآية ٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [سورة الحج، الآية ٣٠].

فمن كان يعظم حرمان الله ﷻ في عرفة ومنى والمزدلفة، وفي المسجد الحرام وفي السعي والطواف، فعليه أن يستحضر هذا التعظيم لشعائر الله، فالأمر أشمل وأعم، فمن حج ورجع إلى بلده ولم يعد وقافاً عند حدود الله فما حج ولا اعتمر ولا استفاد بحج.


ومن علامات القبول: الطاعة بعد الطاعة في حياته كلها، فإذا عاد الحاج قانتاً مخبتاً منيباً إلى الله تعالى، يجب الخير للناس، فذلك من علامات القبول، أما إن عاد كما ذهب وعلى ما كان عليه من تقصير فأمره إلى الله وعليه مراجعة نفسه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٦٠]، قَالَتْ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ وَيَسْرِ قُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ»^(١).

ونقول لحجاج بيت الله الحرام: أمامكم بعد عودتكم وتوفيق الله صلى الله عليه وسلم لكم مهام عظيمة في خدمة دينكم وأوطانكم لا تقل جلالاً ولا كمالاً ولا ثواباً عن ثواب الحج والعمرة، وهي كساء العاري، ومداواة المريض، وقضاء حوائج الناس، وعمارة الكون، زراعة، وتجارة، وصناعة، وإيجاد فرص العمل - وبخاصة أهل السعة واليسر منهم -؛ لنعمر ديانا بديننا، فنريحهما جميعاً.

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ٣١٧٥.

الفهرس

- مقدمة . ٥
- ٩ خلاصة ميسرة لأعمال الحج والعمرة.
- ١٩ ما يفسد الحج ولا يجبر تركه أو فعله بدم
- ٢١ مواسم الخيرات والبركات.
- ٢٩ ماذا قبل الحج ؟
- ٣٧ الحج مدرسة أخلاقية.
- ٤٣ الصبر على مشاق الحج.
- ٤٩ التيسير في الحج.
- ٥٥ هل تعلمت معنى التضحية من أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ؟
- ٥٩ من وحي الرحلة.
- ٦٥ نحو روح إيمانية وثابة.
- ٧٣ من أسرار المناسك.. الحج ورحلة التشبه بالآخرة
- ٧٥ مفهوم التلبية وتامها.
- ٧٧ رمي الجمرات بين المظهر والجوهر.
- ٧٩ من فيض المشاعر.

- 
- ٨٣ الهدي والأضحية ومقاصدهما السامية.
- ٨٩ الحج وقضية التسليم.
- ٩٣ الحج وترتيب الأولويات.
- ٩٧ رسالة سلام من المشاعر المقدسة.
- ١٠١ الحج والصلاة وحقوق العباد.
- ١٠٥ ماذا بعد الحج؟



المدينة الحضريّة العنّانة للكاتب



المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

تصميم الغلاف

مصطفى هداية

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢٣/١٣١١١

ISBN 978-977-91-4231-9